الوِحْدَاتُ القُرْآنِيَةُ الفَرِيْدَةُ وَإِنْتَاجُ الِانْفِتَاحِ الدّلَالِيّ فِي الِاسْتِعْمَالِ
- الوِحْدَةُ "أَمْت" شَاْهِدًا -

Unique Qur'anic Units and the Production of Semantic Openness in Usage: The word 'أَمْت' (transliterated as 'amt') as Evidence

د. يسرى ثجيل مذكور
Dr. Yousra Thijeel Madhkoor

أ.د. فاطمة كريم رسن
Prof.Dr. Fatimah Kareem Rasan

العراق / جامعة بغداد / كُلِّيَّة التربية ابن رشد / قسم اللُّغة العربيَّة.
Iraq/University of Baghdad/ College of Education Ibn Rushd/
The department of Arabic language

yussra@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
dr.fatima.kareem@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

يحاول هذا البحث أنْ يدلّلَ على أهمّيّة إضافة مجال لغويّ إلى مجموعة المجالات اللُّغويَّة الأخرى : النّحويَّة والصّرفيَّة والبلاغيَّة ، الّتي ذهب أصحابها إلى خصوصيّة النّصّ القرآنيّ في مجالاتهم اللُّغويّة، بمذهبهم هذا إلى تأسيس نحو قرآنيّ، وصرف قرآنيّ ، وبلاغة قرآنيّة؛ لخصوصيَّة الأنظمة اللُّغويَّة المذكّرة في النسج القرآنيّ – بحسب مذهبهم – ، ونذهب بهذا البحث إلى تأسيس مجال معجميّ لغويّ خاصّ بالقرآن الكريم؛ باقتراح "مجال الوحدات القرآنيَّة"؛ مسلّطين الضّوء هنا على نمط من أنماطه، وهو نمط الوحدات القرآنيَّة الفريدة، مستشهدين على وجهتنا هذه بالوحدة القرآنيَّة الفريدة " أمْت " الّتي وردت مرَّةً واحدةً في النّسج القرآنيّ ، معضّدين وجهتنا بتراث أهل بيت النبوَّة عليهم أفضل الصّلاة والسّلام، وأقوال المفسّرين المسلمين.

الكلمات المفتاحية : خصوصيَّة النّظام اللُّغويّ القرآنيّ، أنماط الوحدات القرآنيّة، الوحدة القرآنيَّة الفريدة.

Abstract :

This research seeks to demonstrate the importance of adding a linguistic field to the other linguistic fields like grammar، morphology، and rhetoric، which their proponents، in their linguistic fields، have focused on the unique nature of the Qur’anic text and they sought to establish Qur’anic syntax، morphology، and rhetoric due to the specificity of the linguistic systems recorded in the Qur’anic structure.

Thus، we aim to establish a linguistic lexiconic field that is special for the holy Qur’an، through proposing "Qur’anic Units". We shed light on one of its patterns، namely the unique units، and presenting the unit 'أَمْت' (transliterated as ‘amt’) as an example which appears only once in the Qur’anic text. We support our approach with the traditions of the Prophet and Ahlul Bayt، peace be upon them، and the statements of Muslim exegetists.

Keywords: The privacy of the Qur'anic linguistic system، patterns of Qur'anic units، the unique Qur'anic unit.

أوَّلًا : خصوصيَّة النظام اللُّغويّ في القرآن الكريم :

(كان الأجدر بالنحويّين أن يعكفوا على كتاب الله ليستنبطوا منه كلَّ أحكام اللُّغة، كما عكف الفقهاء حين استخلصوا منه أحكام الشريعة ، وما يتَّصل بأمور الدين)[1] بهذا الاعتراض المنطقيّ سجّل أستاذ اللُّغويات في جامعة بغداد الأستاذ الدكتور خليل بنيان الحسّون ملحوظته النقديَّة على زاوية نظر النحويّين تُجاه النصّ القرآنيّ؛ إذ وجدها قاصرة عن استيعاب الأهميَّة القصوى التي يتمتّع بها النصّ القرآنيّ في إثراء الدرس اللُّغويّ، لو وضعوه موضعه الذي ينبغي له أن يضعوه فيه؛ وبسبب هذا القصور ارتفع صوت النقّاد النحويّين لينبّهوا على ضرورة إعادة النظر في هذا القصور، ليس لمعالجته فقط، بل لبيان وجهة أعلى مرتبة من المعالجة، تمثّلت في ما (أصطُلِح عليه «نحو القرآن» إذ نبّه مؤلّفو الكتب في هذا الشأن على ما أخلّ به أسلافهم من الأحكام والتراكيب الأسلوبيَّة في القرآن، كصنيع الدكتور أحمد عبد الستار الجواري رحمه الله في كتابه «نحو القرآن»، والشيخ مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة رحمه الله في كتابه « دراسات لأسلوب القرآن » ، والدكتور أحمد مكيّ الأنصاريّ في كتابه « نظريَّة النحو القرآنيّ »)[2] فضلًا عن كتاب أ.د. خليل بنيان الحسون المذكور آنفًا.

وقد اتَّسعت دائرة الدعوة إلى ذلك، بحيث عبرت الحقل النحويّ إلى سواه من علوم العربيَّة، فذهب د. عبد الحميد هنداويّ إلى خصوصية النظام الصرفيّ للقرآن

الكريم[٣] وعدّه وجهًا من وجوه الإعجاز اللُّغويّ، وسعى أ.د. حسن منديل العكيليّ إلى توسيع الدائرة ليشمل النظام اللُّغويّ برمَّته ؛ لأنَّ النصَّ القرآنيّ على حسب توصيفه (ينساق في ضوء نظام معجز محكم، يشبه بعضه بعضًا ويتعلَّق بعضه برقاب بعض في كلِّ مكوِّنات النصِّ القرآنيّ نجد النظام نفسه: الصوتيّ والصرفيّ والتركيبيّ والبيانيّ والدلاليّ، وكلُّ هذه المكونات يحكمها النظام نفسه، وهذا سبب الترابط والتماسك والجمال والعذوبة والموسيقا الرائعة التي تحدّث عنها علماء إعجاز القرآن القدامى والمعاصرين، ولكنَّهم لم يتناولوا نظام القرآن تناولًا كُلِّيًّا بل كان تناولهم إيَّاه تناولًا جزئيًّا. وهذا النظام المعجز هو من أسباب حفظ القرآن منذ نزوله وإلى يومنا هذا من غير تغيير أو تطوُّر لفظيّ في نصِّه، فاللفظ ثابت والمعنى متحرِّك، ذلك أنَّ نظام القرآن يحوي المتغيرات الزمانيَّة والمكانيَّة. وهو كذلك أهمُّ وجوه إعجاز القرآن، ذلك أنَّ نظامه اللُّغويّ يشبه نظام الكون المبني على التشابه والترابط أيضًا)[٤]، وذهب هذا المذهب كثير من الباحثين المحدثين[٥].

وإذا رجعنا إلى تراث أهل بيت النبوَّة عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهم عِدل القرآن الكريم وترجمانه، لوجدنا فيه ما يعضّد هذا التوجّه، إذ نقل الشريف الرضيّ «تـ ٤٠٦ هـ» في كتابه الجليل « المجازات النبويَّة » حديثًا يلمح إلى خصوصية النصّ القرآنيّ من حيث البناء والنسج اللُّغويَّان، إذ ورد قال ﷺ بحسب نقل الرضيّ (ما نزل من القرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن، ولكلِّ حرف حدٍّ، ولكلِّ حدٍّ مقطع)[٦] وقد شرح الرضيّ هذا الحديث باختصاره باستعارتين هما :

١- (إحداهما) قوله عليه الصلاة والسلام: « ما نزل من القرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن»، وقد قيل في ذلك أقوال: منها أن يكون المراد أنَّ القرآن يتقلَّب وجوهًا، ويحتمل من التأويلات ضروبًا كما وصفه أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في كلام له، فقال: القرآن حمَّال ذو وجوه، أي يحتمل التصريف على التأويلات، والحمل على الوجوه المختلفات. وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة. ومن ذلك قول القائل: قلبت أمرى ظهرًا لبطن، أي صرفته وأدرته، ليبيّن لي منه وجه الرأي فأتبعه، وطريق الرشد فأقصده.

٢- (والاستعارة الأخرى) قوله عليه الصلاة والسلام: «ولكلِّ حرف حدٍّ ولكلِّ حدٍّ مطلع»، قال بعضهم: ... المراد بالمطلع هاهنا المأتى الذي يؤتى منه حتَّى يعلم تأويل القرآن من جهته. وقال بعضهم: المطلع هو المنحدر من المكان المشرف إلى المكان المنخفض، وقد يكون أيضًا المصعد من المكان المنخفض إلى المكان المشرف، فهو من الأضداد على هذا التقدير، فكأنَّ الإنسان يكون في التوصُّل إلى علم تأويل القرآن بمنزلة الراقي إلى الذروة، والصاعد إلى النجوة[٧].

فالنصّ القرآنيّ فريد بنسجه وبنائه اللُّغويَّين، وقد كان هذا التفرّد مدعاة لوصفه بالكتاب المعجز الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم في أن يجاروه

بآية أو سورة ، كما في تحدّي الآيات لهم بذلك، من قبيل قوله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء / ٨٨.

ثانياً: مفهوم الوحدات القرآنيَّة الفريدة:

انطلاقًا من القول بخصوصيَّة النظام اللُّغويّ في القرآن الكريم، وهو دأبٌ سار على هديه قدماء ومحدثون، نذهب إلى أنَّ الوحدات المعجميَّة الداخلة في النظام اللُّغويّ للقرآن الكريم، أخذت مسحته أيضًا؛ بمعنى أنَّها اكتسبت خصوصيتها من خصوصية النظام الذي اندمجت فيه، ومن هنا نذهب إلى أنَّ المفردات المعجميَّة التي دخلت التركيب اللُّغويّ لآيات القرآن الكريم، هي وحدات معجميَّة منتقاة، خصّها الباري بخصوصيَّة النسج القرآنيّ، فأضحت والحال كذلك «وحدات قرآنيَّة» تستمدّ مقاصد استعمالها من السياق القرآنيّ الذي وردت فيه، نعم يمكن الإفادة من الامتدادات المعنويَّة لأصل وضعها في المعجم اللُّغويّ العربيّ قبل انتقائها لآيات الذكر الحكيم، ولكن ليس من الدقّة أن نجمد على ذلك الاستعمال وقد تعرّض لتغيّر، جزئيًا أو كُلِّيًّا، في استعماله المعنويّ الدالّ.

الوحدات القرآنيَّة إذًا؛ هي مفردات معجميَّة جعلها الباري جلَّ شأنه لدمجها مع النسج القرآنيّ، فاكتسبت ملامح معنويَّة ودلاليَّة من السياق الذي

وردت فيه، سواء أكان سياقًا خاصًّا أي سياق الآيات الكريمات التي وردت فيها أم سياقًا عامًّا أي سياق السورة أو ما هو أوسع في النسج القرآنيّ.

وتأتي الوحدات القرآنيّة على أنماط منها:

النمط الأوّل: الوحدات القرآنيَّة الفريدة: نعني بها المفردات التي ورد ذكرها في النسج القرآنيّ مرَّة واحدة سواء أكانت في أصل استعمالها نادرًا، أو خصّها النسج القرآنيّ بالندرة حين استعملها مرَّة واحدة، وهي من المفردات الرئيسة في تكوّن المعجم القرآني الخاصّ.

وقد أحصى الباحث حسّان أحمد راتب المصريّ وجوه هذا النمط في القرآن الكريم، فكانت على ثلاثة أوجه، هي:

- ألفاظ ذكرت مرَّة واحدة ذات جذر لغويّ فريد؛ أي (لم يُذكر أيّ صيغة أخرى من جذرها)[٨] وتنتمي الوحدة القرآنيَّة التي نحن بصدد تحليلها إلى هذا الوجه، ويشترك معها مجموعة من الوحدات الأخرى في تميّزها الفريد من قبيل : «يُبتِّكُنَّ» التي وردت مرَّة واحدة في المعجم القرآنيّ، وتحديدًا في الآية ١١٩ من سورة النساء بقوله تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾، وقد أورد الفيض الكاشانيّ

في تفسير هذه الآية بقوله (ولأضلنَّهم عن الحقِّ ولأمنينَّهم الأماني الباطلة كطول العمر وأن لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام قيل كانوا يشقُّون آذانها إذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها. وفي المجمع عن الصادق (عليه السلام) ليقطِّعن الأذن من أصلها ولآمرنهم فليُغيّرن خلق الله فيه عنه (عليه السلام) يريد دين الله وأمره ونهيه ويؤيده قوله سبحانه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله. أقول: ويزيده تأييدًا قوله عزَّ وجلَّ عقيب ذلك، ذلك الدين القيِّم وتفسيرهم (عليهم السلام) فطرة الله بالإسلام ولعلَّه يندرج فيه كلَّ تغيير لخلق الله عن وجهه صورة أو صفة من دون إذن من الله كفقئهم عين الفحل الذي طال مكثه عندهم الفقاؤه عن الركوب وخصأ العبيد وكلّ مُثلة ولا ينافيه التفسير بالدين والأمر لأنَّ ذلك كلَّه داخل فيهما ومن يتِّخذ الشيطان وليًّا من دون الله بأن يؤثر طاعته على طاعة الله عزَّ وجلَّ فقد خسر خسرانًا مبينًا إذ ضيَّع رأس ماله وبدَّل مكانه من الجنَّة بمكانه من النار)[٩].

- ألفاظ فريدة ذكرت بصيغة واحدة؛ أيْ :(ألفاظ ذكرت أكثر من مرّة إلاّ أنَّها تفرّدت بصيغتها فلم يرد منها القرآن أيّ صيغة أخرى أو صورة أخرى من جذرها اللُّغويّ فمثلًا من الجذر « ب ر ص» لم يُذكر إلّا لفظ الأبرص، ومن جذر «ر س خ» لن ترى في القرآن إلاّ لفظ «الراسخون»)[١٠]، وهو نسق انتقائيّ فريد، يستحقّ أن يولي الباحثون عنايتهم به؛ لأنَّ استقرار

تداوليّ لفئة من الوحدات أدّى حملاته الدلاليَّة، مع ثبات على الشكل البنائيّ، وهو يندر استعمال الإجماع على جماليَّته في غير النصّ القرآنيّ؛ لأنَّه قد يقدح بثباته في النصوص الشعريّة مثلًا أو النثريّة؛ بدعوى أنَّها دلالة على قصور المعجميّ الأدبيّ في إنتاجيَّة الأديب، ولكن حضور هذا النسق في النسج القرآنيّ صار مسحة جماليَّة، وُسمت من الإعجاز.

- ألفاظ فريدة اشتركت مع غيرها في الجذر اللُّغويّ إلاّ أنَّها ذات أصل ومعنى مختلف؛ أي هي (ألفاظ لم ترد على البناء أو الصيغة التي وردت عليها إلاّ مرَّة واحدة، ولكنَّها اشتركت مع غيرها في الجذر؛ إلاّ أنَّ العلاقة بينها وبين ما اشتركت معه غير ظاهرة، وربَّما كانت ذات أصل مختلف عن غيرها) من قبيل : الوحدة القرآنيّة « أنداد » إذ لم يرد استعمال من الجذر اللُّغويّ « ن د د » في المعجم القرآنيّ إلاّ بصيغة «أنداد» وبالرجوع إلى المعاجم الإحصائيَّة والمسحيَّة لمفردات القرآن الكريم من قبيل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للدكتور مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي[١١] سنجد أنَّ هذه الصيغة وردت في ستَّة مواضع من النسج القرآنيّ (سورة البقرة – آية : ٢٢، وآية : ١٦٥، سورة إبراهيم آية : ٣٠، سورة سبأ آية : ٣٣، سورة الزمر آية : ٨، سورة فصّلت آية : ٩)، وهذا النسق أيضًا من الأنساق التي تفرّد بها النسج القرآنيّ الذي يحتاج إلى وقفة تأمُّليّة للكشف عن سرّ انتقائه على هذه الشاكلة البنائيَّة والتداوليَّة.

النمط الثاني: الوحدات القرآنيّة المتكرِّرة نسبيًّا: نعني بها المفردات القرآنيَّة التي وردت بعدد محصور في النسج القرآنيّ، كأن ترد مرَّتين أو ثلاثًا أو أربعًا، أو بعدد محصور أكثر ممّا ذكرنا، وهي من المفردات الرئيسة أيضًا في تكوين المعجم القرآنيّ الخاصّ بعد النمط الأوَّل.

من قبيل الوحدة القرآنيّة «أجداث» التي وردت في المعجم القرآنيّ ثلاث مرَّات فقط، في سورة يس في الآية٥١ (وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)، وفي الآية ٧ من سورة القمر ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾، وفي الآية ٤٣ من سورة المعارج ﴿يوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

النمط الثالث: الوحدات القرآنيَّة المتكرِّرة: نعني بها المفردات التي ورد ذكرها كثيرًا في النسج القرآنيّ؛ وعلى الرغم من هذه الكثرة لم تقلّ قيمتها الاستعماليّة في مقام المفردات القرآنيّة المكوّنة للمعجم القرآنيّ؛ لأنّ استعمالها لم يؤكّد خصوصيَّة من نوع آخر في النسج القرآنيّ، على الرغم من قيمتها الدلاليّة من حيث إسهامها في تكوين السياق الذي وردت فيه، من قبيل ورود:

ورود المفردة القرآنيّة (الدنيا) في القرآن الكريم بعدد مرَّات ورود المفردة القرآنيّة (الآخرة) نفسها وهو ١١٥ مرَّة، كما أنَّ المفردة القرآنيّة (الشهر) تكرَّرت

١٢ مرَّة بعدد شهور السنة، وأنَّ المفردة القرآنيّة (اليوم) تكرَّرت ٣٦٥ مرَّة بعدد أيام السنة، وأنَّ المفردة القرآنيّة (الأيَّام) تكرَّرت ٣٠ مرة بعدد أيَّام الشهر[١٢].

النمط الرابع: الوحدات القرآنيَّة العامّة: نعني بها المفردات المساندة التي يستعين بها النسج القرآنيّ للربط أو التكميل في التراكيب اللُّغويّة للآيات الكريمة، وهي بذلك أدنى مستويات المفردات خصوصيَّة في المعجم القرآنيّ.

وسنقف في ورقتنا هذه عند النمط الأوَّل من أنماط الوحدات القرآنيَّة؛ لنستبين أهمّ وظيفة من وظائفه، وهي وظيفة الانفتاح الدلاليّ المؤدِّي إلى التأويل.

ثالثاً: وجه من وجوه انفتاح الدلالة في الاستعمال:

ومن وصية لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﷺ لعبد الله بن عبَّاس؛ لمَّا بعثه للاحتجاج على الخوارج، أنَّه قال ﷺ: (لا تخاصمهم بالقرآن فإنَّ القرآن حمَّال ذو وجوه تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنَّة فإنَّهم لن يجدوا عنها محيصًا)[١٣].

وقد وقف كثير من العلماء، ولاسيَّما شرّاح نهج البلاغة، عند هذه الوصيّة، ولا سيّما: «حمّال ذو أوجه»؛ إذ ذهب الشريف الرضيّ في كتابه «المجازات النبويَّة» إلى أنَّ المقصود بذلك هو (القرآن حمَّال ذو وجوه، أي يحتمل التصريف على التأويلات، والحمل على الوجوه المختلفات)[١٤]، ووضّح العلَّامة الميرزا حبيب الله الخوئيّ المقصود بذلك أيضًا بقوله : (يتحمّل ألفاظه بسياقه الخاصّ أن تحمل على

معانٍ مختلفة ووجوه عديدة فإذا تمسّك أحد بمعنى وفسّرها بما يوافق مقصوده تمسّك الخصم بوجه آخر وتفسير يخالفه فلا يخصم) [١٥] .

فالنسج القرآنيّ على وفق وصف أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام) نسج ذو نظام تركيبيّ معقّد؛ لا يفكّكه القارئ بيسر وإنَّما يحتاج إلى تأمُّل وتدبُّر وتأنٍّ، لذا حثّ الباري جلّ شأنه الناس في كثير من الآيات على ضرورة التدبُّر، وجعلها من سمات العقلاء، من ذلك قوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ سورة ص / ٢٩ .

ويأتي وصف «حمّال ذو أوجه» أحد السمات التركيبيَّة الخاصّة بالقرآن الكريم، الذي جعله كثير من العلماء وجهًا من وجوه الإعجاز اللُّغويّ، من قبيل ما نقله جلال الدين السيوطيّ «ت ٩١١ هـ » في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» بقوله (قد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرّف إلى عشرين وجهًا أو أكثر أو أقلّ ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر)[١٦]، وقد أسهم هذا النسج في تشكيل علم مهمّ من علوم القرآن الكريم أسماه بعضهم بوجوه القرآن[١٧]، لكنّ التسمية الأشهر هي علم الوجوه والنظائر الذي يعدّ (فرعًا من التفسير، تعرُّفه ضرورة للمفسّر والفقيه والعالم اللُّغويّ والأديب، وموضوع هذا العلم هو ما للّفظة الواحدة في القرآن من معانٍ مختلفة بحسب موارد الاستعمال، سواء أكان المعنى حقيقيًّا أم مجازيًّا، وربَّما تكثر وجوه المعنى في اللَّفظة الواحدة كثرة

لافتة حتَّى تربو على عشرين وجهًا، وقد عدّوا هذه الظاهرة اللَّفظيَّة المعنويَّة التي تدلّ على تنوّع وغنى في التعبير من خصائص القرآن الكريم، ومظهرًا من مظاهر الإعجاز فيه، وقد كان الفاتح لهذا الباب من الفهم لألفاظ القرآن ومعانيه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، حين علّم الناس في أكثر من موقف أنَّ القرآن « ذو وجوه » أو « حمّال ذو وجوه » أي إنَّ التعبير الواحد فيه يحمل وجوهًا من المعاني متنوّعة. وقد شهد التأريخ الثقافيّ للمسلمين على امتداد العصور، حركة تأليفية حفلت بتسجيل وجوه الألفاظ القرآنيَّة منذ القرن الهجريّ الأوَّل إلى قرون متأخِّرة)[١٨].

ممّا سبق يمكننا أن نقول: إنَّ التأويل لا ينبع من التركيب والسياق الخاصّ للجملة أو العامّ للنصِّ فحسب ، بل نذهب إلى أنَّ طبيعة المفردة الواحدة يسهم في تثوير التأويل كذلك، ومن أدلّة زعمنا هذا : ما تقدّمه المفردة القرآنيَّة الفريدة من مساحة لتحديد المعنى الأوَّليّ المقصودة منها الذي ينعكس على تأويل سياق الآية التي وردت فيها المفردة القرآنيَّة الفريدة، وسنقدّم هذا الفقرة ما سبّبته المفردة القرآنيَّة الفريدة « أمت » من سعة تأويليَّة للآية التي وردت فيها من سورة طه، بمراجعة كتب المفسّرين والمهتمّين بآيات الذكر الحكيم.

قال تعالى في محكم كتابه المجيد في الآيات ١٠٥ – ١٠٧ من سورة طه﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)﴾.

وبمراجعة لما قيل في تفسير هذه الآية المباركة، سنجد أنَّ منشأ التفسير لها اختلف، ولو جزئيًّا، بسبب مراد المفردة القرآنيَّة الفريدة «أمت»:

إذ نصّ الطبريّ «ت ٣١٠ هـ» صراحة على هذا الاختلاف بقوله (اختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت)[١٩]، وتفصيل الاختلاف على وجه الإجمال في الجدول الآتي :

ت	المفسّر	التفسير	معلومات التوثيق
١	الطبري ت ٣١٠ هـ	وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج : الميل ... وأمّا الأمت فإنّه عند العرب الانثناء والضعف.	جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٦ / ٢١٣
٢	الطوسي ت ٤٦٠ هـ	التبيان في تفسير القرآن : أي لا رُبَى فيها ولا وهاد؛ أي لا ارتفاع فيه ولا هبوط	٧ / ٢٠٨
٣	الزمخشري ت ٥٣٨ هـ	الأمت : النتوء اليسير	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢/ ٥٥٣ .
٤	الطبرسي ت ٥٤٨ هـ	الأمت : الأكمة، يقال : مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتًا، أي انثناءً، ... أي ليس فيها منخفض ولا مرتفع	تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤/ ٢٨ و ٣٠ .

٥	الفخر الرازي ت ٦٠٦ هـ	الأمت النتوء اليسير ، يقال: مدّ حبله حتى ما فيه أمت ، وتحصل من هذه الصفات الأربع أنَّ الأرض تكون ذلك اليوم ملساء خالية عن الارتفاع والانخفاض وأنواع الانحراف والاعوجاج .	التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠١
٦	ابن كثير ت ٧٧٤ هـ	قال : (لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا) أي : لا ترى في الأرض يومئذٍ واديًا ولا رابية	تفسير القرآن العظيم: الجزء الخاص بسورة طه.
٧	الآلوسي ت ١٢٧٠ هـ	الأمت في الآية : العوج في السماء تجاه الهواء، والعوج في الأرض مختصّ بالأرض	
٨	السمين الحلبي ت ٧٥٦ هـ	والأمت: النبؤ اليسير. يقال: مد حبله حتى ما فيه أمت. وقيل: الأمت: التل، وهو قريب من الأول. وقيل: الشقوق في الأرض. وقيل: الآكام.	الدرّ المصون : ٨ / ١٠٦ .
٩	ا لطبا طبا ئيّ ت ١٤٠٢ هـ	العوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما ارتفع منها.	الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٢١١.

ولعلّ منشأ هذا الاختلاف راجع إلى أسباب متعدَّدة، أهمّها:

١- طبيعة استعمالها اللُّغويّ قبل الانتقاء القرآنيّ؛ إذ لم يكن معناها مقطوعًا بوجه واحد، بل كان متعدّدًا ممّا انعكس على استعمالها القرآنيّ بعد انتقائها في نسجه [٢٠].

٢- إنَّ محدوديَّة الاستعمال في بعض الأحيان تتسبّب في محدوديَّة حضوره في المعجم الذهنيّ للمستعمل؛ أي إنَّ قلّة ترداد المفردة على ألسنة المتداولين في تواصلهم اليوميّ، يجعل معناها بعيدًا عن متناول ذهنهم اللُّغويّ بحيث يشحنها بعض المستعملين بمعانٍ مجاورة بسبب عدم درايته الدقيقة بالمعنى الأصليّ؛ فيكون ذلك منفذًا من منافذ الانفتاح على معانٍ أخرى وإن كانت مجاورة للمعنى الأصليّ، ممّا يسمح باتساع دائرة التأويل، هذا على مستوى الاستعمال البشريّ، أمّا على مستوى الاستعمال القرآنيّ فكانت هذه الفرادة ضرب من ضروب إعجازه؛ إذ (لا يظنَّن أحد أنَّ هذه المفردات اليتيمة هي الكلمات الغريبة الوحشية ولهذا لم تتكرَّر، أو رُبَّما دون سائر ألفاظ القرآن إعجازًا أو إشراقًا، فلقد جمع القرآن أبلغ لغات العرب؛ وأفصح مفرداتها، وما جرى على ألسنتهم، فأخذ من ألفاظ قريش بأوفر نصيب، وهذا أمر طبيعي، واختار من هذيل وكنانة وتميم، وغيرها، وربَّما كان بعض هذه الألفاظ غير معروف لدى بعض القبائل الأخرى كـ «الأبّ، والغول» وهي ألفاظ فريدة، ولكنّ ذكرها كذلك لا يعني أبدًا أنَّه ليس لها ذلك الألق؛ وتلك البلاغة، أو ذلك البيان وتلك الفصاحة، كلّا على الإطلاق،

فربّما كان العكس صحيحًا، ولعلّ بلاغتها وإعجازها هو في انتفاء غيرها يُغني عنها؛ ويدلّ على المعنى المراد أكثر منها، شأنها في ذلك شأن مفردات القرآن كلّها، تأخذ بالأسماع، وتستولي على القلوب، وتكون نهاية في النصاعة، وغاية في البلاغة، ويُستدلّ على ذلك كلّه بالسياق، ويُدرك أمره بالحسّ ولطف الصنعة)[٢١].

الخاتمة :

بعد أن أكملنا صفحات البحث، نخلص إلى تثبيت أهمّ النتائج التي توصلنا إليها، وهي :

١- أيّد البحثُ الرؤيةَ الذاهبة إلى أنَّ للقرآن الكريم له نظامًا لغويًّا خاصًّا، وهو ما نزع إليه مجموعة من الباحثين المختصّين، وألمح إليه تراث أهل بيت النبوَّة عليهم أفضل الصلاة والسلام .

٢- اقترح البحث أنَّ المفردات التي جعلها الباري جلَّ شأنه في تكوين نسج كتابه المجيد، اكتسبت خصوصيَّة جعلتها تفارق استعمالها اللُّغويّ الأوَّل.

٣- اقترح البحث تسمية المفردات المنتقاة لتكوين النسج القرآنيّ العظيم، بـ «الوحدات القرآنيّة»؛ تمييزًا لها من الوحدات المعجميَّة العامّة التي تشكّل المعجم البشريّ.

٤- اقترح البحث أن يكون «مجال» المفردات المنتقاة –أي الوحدات القرآنيّة– على أربعة أنماط هي: الوحدات القرآنيَّة الفريدة، الوحدات القرآنيَّة المتكرِّرة نسبيًّا، الوحدات القرآنيَّة المتكرِّرة، الوحدات القرآنيَّة العامّة.

٥- بيّن البحث أنَّ النمط الأوَّل من مجال المفردات القرآنيَّة، وهو نمط المفردات القرآنيَّة الفريدة، أسهم في فتح الدلالة بوصفه سبيلًا من سبل التأويل للنصّ القرآنيّ، وكان مثال هذا البيان المفردة القرآنيَّة «أمت» التي وردت فريدة في النسج القرآنيّ؛ بحيث لم تذكر إلّا مرَّة واحدة في سورة طه.

الهوامش :

١- النحويون والقرآن : د. خليل بنيان الحسّون : ٨ ، مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن – عمّان ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

٢- النحويون والقرآن : ٩ .

٣- ينظر الإعجاز الصرفيّ في القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة- : د. عبد الحميد هنداوي: ١٠ ، المكتبة العصرية – صيدا / بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ م.

٤- النظام اللغوي للقرآن الكريم في دراسات القدامى والمعاصرين : أ.د. حسن منديل ، بحث رقميّ (إلكترونيّ) على الرابط :

٥- ينظر : فهم القرآن الكريم بين مرتكزات العرف اللغوي وخصوصيات العرف القرآني : نبيل بوراس : ٧٧ وما بعدها ، مجلة المناهل ،مجلد ٤ ، عدد ٢ ، ٢٠١٨م.

٦- المجازات النبوية : الشريف الرضي : ٢٥١ ، تحقيق وشرح د. طه مُحَمَّد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، د.ت.

٧- المصدر السابق ٢٥٢ – ٢٥٤.

٨- الألفاظ الفريدة في آيات القرآن المجيد : حسان أحمد راتب المصريّ : ٩ ، دار العرّاب – سوريا ، دار نور حوران – سوريا ، ط١ ، ٢٠١٨ م.

٩- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني : ١ / ٥٠١ ، صحّحه وقدم له العلامة الشيخ

حسين الألعمي، منشورات مكتبة الصدر – طهران ، د . ت .

١٠- الألفاظ الفريدة في آيات القرآن المجيد : ٩ .

١١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : د. مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي : مادة ن د د ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – د . ت .

١٢- ينظر : التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائيّ : ١٢ ، مطابع جامعة بغداد ، ١٩٨٩م.

١٣- نهج البلاغة : جمعه الشريف الرضي : ٣ / ١٣٦

١٤- المجازات النبوية : الشريف الرضي : ٢٥١ ،

١٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الميرزا حبيب الله الخوئي : ٢٢/ ١٢ ، منشورات المكتبة الإسلامية، قم.

١٦- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي : ١ / ١٤٢

١٧- كما في كتاب أبي عبد الرحمن الحيري النيسابوري « ت ٤٣١ هـ » المعنون بـ « وجوه القرآن » .

١٨- وجوه القرآن : لأبي عبد الرحمن إسماعيل الحيريّ النيسابويّ : ٥ ، تحقيق د. نجف عرشي ، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدّسة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ.

١٩- تفسير الطبريّ : ١٦ / ٢١٣ .

٢٠- ينظر: العين: مادة أمت: ٨ / ١٤١ ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، تهذيب اللغة : الأزهري : مادة « أمت » تحقيق :

مُحَمَّد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م، و تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري : مادة « أمت » ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤م ، ولسان العرب : ابن منظور : مادة « أمت »، دار صادر بيروت.

٢١- الألفاظ الفريدة في آيات القرآن المجيد : ٧.

المصادر والمراجع :

١- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م.

٢- د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية – الإعجاز الصرفيّ في القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة- : صيدا / بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

٣- حسان أحمد راتب المصريّ ،الألفاظ الفريدة في آيات القرآن المجيد: دار العرّاب – سوريا ، دار نور حوران – سوريا ، ط١ ، ٢٠١٨ م.

٤- الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤م .

٥- د. فاضل صالح السامرائيّ ، التعبير القرآني : مطابع جامعة بغداد ، ١٩٨٩م.

٦- الأزهري ، تهذيب اللغة : تحقيق : مُحَمَّد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.

٧- الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم.

٨- ابن جرير الطبريّ ، جامع البيان عن تأويل القرآن : تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، دار التربية والتراث ، مكّة.

٩- الفيض الكاشانيّ ، التفسير الصافي : صحّحه وقدم له العلامة الشيخ حسين الألعمي ، منشورات مكتبة الصدر – طهران ، د . ت .

١٠- ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم : تحقيق مُحَمَّد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩ هـ .

١١- الفخر الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ.

١٢- السُّمين الحلبيّ ، الدرّ المصون : تحقيق د. أحمد مُحَمَّد الخراط، دار القلم ، دمشق .

١٣- د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، العين : تحقيق : دار ومكتبة الهلال .

١٤- نبيل بوراس ، فهم القرآن الكريم بين مرتكزات العرف اللغوي وخصوصيات العرف القرآني : مجلة المناهل ،مجلد ٤ ، عدد ٢ ، ٢٠١٨م.

١٥- الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٧م.

١٦- ابن منظور ، لسان العرب : دار صادر بيروت.

١٧- الشريف الرضي ، المجازات النبوية : تحقيق وشرح د. طه مُحَمَّد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي ، قم، د.ت.

١٨- الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن : دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م.

١٩- د. مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : دار إحياء التراث العربي – بيروت – د . ت .

٢٠- الميرزا حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : منشورات المكتبة الإسلامية ، قم.

٢١- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن : منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات ، قم ، ط١ ٢٠٠٤م.

٢٢- د. خليل بنيان الحسّون : ٨ ، النحويون والقرآن : مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن – عمّان ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

٣٢- أ.د. حسن منديل ، النظام اللغوي للقرآن الكريم في دراسات القدامى والمعاصرين :بحث إلكتروني على الرابط :

٢٤- جمعه الشريف الرضي : نهج البلاغة : شرح مُحَمَّد عبده ، ط١ ، ١٤١٢ هـ.

٢٥- لأبو عبد الرحمن إسماعيل الحيريّ النيسابويّ ، وجوه القرآن : تحقيق د. نجف عرشي ، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدّسة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ.